وجهاً لوجه

علاء الدين سليم أكتشف فيلمي أثناء صناعته

لم يعرف علاء الدين سليم سينما المؤلّف مبكّراً. نشأ على «فيلم السهرة» التجاري، الذي تشاهده معظم العائلات في البيوت، في سنّ الـ 19، بدأ الاختلاف. تعرّف إلى كبار الشاشة، احتكّ بصنّاع من تونس وخارجها، أثرواوعيه ومعرفته. وُلِد في سوسة، على سواحل الشرق التونسي عام 1982. درس في المعهد العالي لفنون الملتميديا بين عامي 2001 – 2004. بعد عام، أسّس Exit Productions مع علي حسّونة، التي أنتجت العديد من التجارب الأولى لمخرجين تونسيين، ضمن السينما المستقلّة. انهمك مبكّراً بهاجس الهجرة غير الشرعية، منجزاً شريطاً قصيراً بعنوان «خريف» (2007)، طار إلى فرنسا، ليحقق قصيراً آخر هو «ليلة من الليالي» (2008). أتبعه بـ «الملعب» (2010)، والوثائقي الطويل «بابل» (2012)، بالشراكة مع إسماعيل الشابي ويوسف الشابي. اشتغل عدّة مشاريع فيديو آرت، منها سلسلتا «يوميّات رجل مهم» و«يوميّات امرأة مهمّة». بين عامي 2010 – 2011، في عام 2014، عاد إلى فكرة قديمة عن اللجوء والهجرة غير الشرعية، ليكون «آخر واحد فينا» (2016) أوّل أفلامه الروائية الطويلة. كذلك، أسهم سليم في أفلام سواه، عمل في بعضها مراقب صورة، إضافةً إلى المشاركة في الإنتاج. «الأخبار» التقت علاء الدين سليم، بعد عرض فيلمه ضمن «أيام بيروت السينمائية 2017»

علي وجيه

■ لنبدأ بالسؤال التقليدي: كيف تشكّلت فكرة «آخر واحد فينا»؟ وكيف اشتغلت عليها؟

الفكرة قديمة. أعيشُ في حيّ، تقطنه الطبقة الوسطى في تونس. حكايا الهجرة غير الشرعيّة منتشرة بكثرة. كثرٌ حلموا، وجازفوا في سبيل حياة أفضل. منهم من لقي حتفه. منهم من عاد نتيجة الإحباط وخيبة الأمل. ثمّة من اختفى تماماً. لطالما تساءلت عن هذا الجسد المفقود: كيف ذهب؟ ماذا قابل خلال الرحلة؟ من العبث أن يموت شخص في سبيل الانتقال إلى مكان آخر. هذا غير معقول. «نون» (الشخصية الرئيسية في الفيلم . يؤديها فنان الشارع جوهر السوداني المعروف بـ «فاجو») كان تونسياً بادئ الأمر. بعد تصوير «بابل» في مخيّم للاجئين جنوب البلاد، التقيتُ بالكثير منهم. قرّرت أن يصبح شخصاً من جنوب الصحراء، يعبر الجغرافيا كلّها نحو الشمال. وسّعتُ المجال، لأنّ السينما كوكب قائم بذاته. فلتكن قصّة عن إنسان من هذه المنطقة، تصلح لأيّ مكان في العالم. حققتُ أفلاماً أخرى عبر السنوات، ثمّ عدتُ إلى «آخر واحد فينا» عام 2014، بالتعاون مع عدد من الأصدقاء المتحمّسين للمشروع.

■ يبدو أنّك تحدّثت عن اللجوء، قبل أن يصبح ظاهرة بعد «الربيع العربي». هل

السينما التونسيّة الجديدة بدأت قبل الثورة

بات الفيلم راهناً أكثر بعد صدوره؟

بالتأكيد لم أتوقع ذلك. بعد «الربيع العربي»، نُسفَت بلدان بالكامل. انظر إلى ليبيا المشرذمة اليوم. الحكومات لا تكترث لشعوب، تتوسّل حقّها البديهيّ في الحياة. هذا ما حصل للأسف.

■ يبدو أنّك تكتشف الفيلم وتتلمّس وجهه أكثر أثناء صناعته. إلى أيّ درجة تهتمّ بالتحضير المسبق؟

أنتج «آخر واحد فينا» بإمكانيّات متواضعة. كان تمريناً هاماً بالنسبة لي حول التأقلم مع الإنتاج المتقشّف.
اشتغلنا كأصدقاء، دون الاكتراث لتسميات المخرج والتقني وما شابه. صحيح أنّ القرار الأخير يرجع لي، لكنّ آراء الفريق كانت هامّة جداً. الشريط اكتمل بالحب. كنّا نتعب طوال اليوم، ثمّ نضحك في آخره.
مسار الفيلم واضح منذ البداية، لكنّه طريق سيّارة، يمكن أن نقود «زكزاك» أثناء قطعه. نتكيّف مع ظروف المال، والطقس، والطاقة البشريّة، والأحداث الطارئة. دعني أكون أكثر صراحةً. لا تهمّني دقّة التصوّر المسبق، أو كيف يجب أن تكون الأمور. هناك تحضير بالتأكيد، ولكن هناك الكثير من التكيّف والتفاعل والانفتاح على الأفكار الخلّاقة. إذا كنت أعرف الفيلم مسبقاً، لمَ أصنعه؟

■ بالنسبة إلى الأشكال الهندسية المرافقة لعبارات مكتوبة خلال الفيلم. ألم تخشَ أن تكون خارج مناخه أو أسلوبيّته؟

لا يهمّني ذلك. أردتُ وضعها وكفى. الأشكال لصديقي هيثم زكريّا. أنا معجب بعمله، وأردتُ إدخاله في الشريط. كما قلتُ، أنا أجرّب وأكتشف أثناء الصناعة، وأنا مشاهد الفيلم الأول.

■ إذاً، ينسحب الأمر على ضياع البطل، وانتهائه إلى الغابة. لم يعد فيلماً تقليدياً عن اللجوء...

بالضبط. أردتُ خلق عالم موازٍ، ومعالجة التيمة بشكل مختلف. لستُ باحثاً سوسيولوجياً، أو موظفاً في NGO. أنا سينمائي. أريد عرض الأمر على طريقتي.

■ 2016 كان عاماً نوعياً للسينما التونسيّة. هل ترى أنّ هناك موجة جديدة بعد الثورة؟

المنطقة العربيّة كلّها تغلي. هذا يعني سينما حيويّة وتفاعليّة بالضرورة. السينما التونسيّة الجديدة بدأت قبل الثورة، بالفيلم القصير (2004 – 2005)، تبعه الوثائقي (2009 – 2010)، ثمّ الروائي. لا أدري إن كان الأمر مرتبطاً بالثورة، ولكن لا شكّ في أنّ السينمائيين استفادوا من حراك طال مفاصل الحياة، بغضّ النظر أنّ شيئاً لم يتغيّر بعد رحيل بن علي في رأيي. ما زال الإحباط مسيطراً. بالنسبة لي، هذه السينما التي أريد صنعها، سواء هناك ثورة أم لا. ثمّة تنوّع جميل في السينما التونسيّة اليوم. كلّ صانع يقدّم رؤية أو جانباً مختلفاً.

■ هل بدأت باكتشاف المشروع القادم؟

أعمل على عدّة جبهات في آن. فيديو آرت، وإنتاج شريط وثائقي، كما بدأتُ بكتابة روائي جديد. لا أعرف عمّا سيكون بالضبط عند اكتماله.

مشهد من «آخر واحد فينا»

علاء الدين سليم: لستُ موظفاً في NGO. أنا سينمائي وأعرض الأمور على طريقتي

رمضان 2017

روزينا لاذقاني اكتشاف الموسم

وسام كنعان

لا يقف أداء الممثل ـ بحسب أهم المرجعيات التنظيرية ـ على ثرثرة لسانه، وحركات وجهه ويديه، أو وقع خطواته، بل يحلّ مطرح كلّ ذلك العين المدركة، التي تحدّق مباشرة في المشاهد وتصل إلى قلبه، وهي تطفح إحساساً. لا يمكن لممثل بعينين فارغتين إلا أن يشتت مراقبه. هكذا، فإن أيّ مرونة لدى الممثل لا تتكئ إلى إحساس داخلي عميق، لن تستدعي الانتباه الكافي من متابعيه. ولو نقّبنا في بنية الموسم السوري، متجاوزين حجم الخيبة التي يخلّفها على الأصعدة كافة، لعثرنا على كنز لا يُفقِده الرماد المتراكم بريقه. القصد هنا لمعة الممثل السوري، وشغله الأدائي المحترف، الذي يعدّل المزاج في كثير من الأحيان، ولو كانت المادة التي يقدّمها متهاوية. يبقى التعويل على الارتجال والحضور التمثيلي الآسر، عساهما يشكلان منفذاً أخيراً للنجاة. بعيداً عن الأسماء المكرّسة التي يسطع نجمها عاماً تلو آخر، يطرح هذا الموسم أسهم وجوه شابة للتداول الجدي، أهمها سامر الكحلاوي الممثل السوري الذي تأخر اكتشافه، حتى لمع حضوره بأداء مدروس يجاري فيه الكبار في «الهيبة» (هوزان عكو وسامر البرقاوي- mbc دراما -mtv- السومرية).

العمل ذاته يزيح الستار عن موهبة ساحرة لممثلة سورية شابة هي روزينا لاذقاني (1990 ـ الصورة). الصبية الجميلة انتهت عام 2014 من دراسة «المعهد العالي للفنون المسرحية - قسم السينوغرافيا» وتوجّهت للتمثيل. ترك اسمها صدى عند مستمعيه، ولو لم يعرفوا صاحبته. غرابة الاسم و«شذوذه» عما نستمع له من أسماء تقليدية، جعلا إمكانية حفظه أسهل. لعبت لاذقاني العام الماضي في «أهل الغرام3» (مجموعة مخرجين وكتاب، يعرض حالياً على LCD). لكنّ الظلم التسويقي الذي حاصر العمل، لم يمكّنا من الالتفات إليها. حتى جاءتها فرصة الظهور الوافي هذا العام في عملين معاً هما «شوق» (حازم سليمان ورشا شربتجي . سوريا دراما) و«الهيبة». وإذا كان الممثل الناشئ هذه الأيام أمام اختبار أشد صعوبة يجيز له «اللعب بالمقصقص حتى يأته الطيّار» كما يروي المثل الشعبي الدارج، فإن ذلك ينطبق حتى الآن على الحوارات، وتصاعد الحكاية بالنسبة إلى دور لاذقاني في «الهيبة»، والتي لا تمهّد الأرض كي تبرز معظم إمكانياتها. مع ذلك، تجيد الممثلة اللعب عميقاً في مساحات من الإحساس الصادق... هي مجرّد امرأة في مقتبل حملها قادتها سلسلة خدائع وخيانات زوجها إلى بيت عائلتها، التي لا تعرف التعامل مع أنثى بهذا الحسّ المرهف. تجرّب مساعدة أرملة أخيها (نادين نجيم) لاستعادة ابنها أكثر من مرّة، لكن خوفها من عقاب أخيها جبل (تيم حسن) يعيدها إلى منطق العشيرة. لا تستطرد لاذقاني في الحديث، ولا تستعرض بحركات جسد مجانية. كذلك، لا تنصرف إطلاقاً نحو موضة عرض الأزياء الدارجة هذه الأيام. تركّز انتباهها على الهدف الأقصى من دورها. تبرز إمكانياتها بعينين تفيضان إحساساً، ينأى شغلها عن الثرثرة، أو الحشو الأدائي، فيما تواكب بنيتها الجسمانية الناعمة، خامة صوت خاصة جداً. تنسجم كلياً مع إحساسها الخاص وشغلها بعينيها في الدرجة الأولى.

تحيلنا في كل مشهد تطلّ به إلى الحالة الداخلية للشخصية التي تجسّدها، حتى أنها تقتنص حصتها من الكاميرا بعيداً عن التصنّع، بل بشيء من الندية. تقف في مواجهة منى واصف أحد أهرامات الفن السوري، كذلك لا تضيرها شراكتها مع «نجم الكاريزما» تيم حسن.

لا يقتصر حضور الممثلة الصاعدة عند هذا الحد، إنما تجذب الأنظار إليها في «شوق» حيث تجيد إقناع مشاهدها بأنها صبية في أهبة الصخب النفسي، تتقاسم الظهور مع واصف ذاتها، وتزعجها الرقابة المجتمعية التي تحدّ من شغفها المتهور. تعجب برجل غني متنفذ (أحمد الأحمد) توحي القصة بأنه أحد تجّار الحرب... من دون أن نعرف أين ترسو هذه الشخصية الثانوية في نهاية الحكاية.

* «الهيبة»: 22:30 على mtv ـ 17:00 على «mbc دراما»
* «شوق»: 22:30 على «سوريا دراما»